معارك خالد
ونتائجها

د.نبيل صافي*

خالد ***خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ولد في السنة التاسعة والثلاثين قبل الهجرة وتوفي في السنة الواحدة والعشرين للهجرة – تولى الأعنة والقبة لقريش، ثم برز قائداً من قوّاد الفتح العربي الإسلامي بل لعله أهمهم، وقبل ذلك لمع خلال حروب الردة – وفي المرحلة النبوية-.***

كان خالد متميزاً، مسبباً للنقاش حول تصرفاته، إلا أنه من المؤكد أنه كان جريئاً، حاسماً وصاحب المبادرة التي تحقق المطلوب السياسي في الوقت المناسب.

ستحاول الدراسة هنا تتبع معارك خالد خلال ثلاث مراحل: العهد النبوي – حروب الردة – الفتح العربي الإسلامي.

أ-العهد النبوي:

1-**غزوة أحد**، السنة الثالثة للهجرة: كان خلالها في الصف المعادي للمسلمين ونجح في حركة سريعة قاد خلالها فرسان قريش في إرباك صفوف المسلمين بعد أن كانوا على أبواب النصر[1]، ونريد الإشارة هنا إلى ترجيح الرأي القائل إن عملية خالد كانت بمبادرة منه بعدما رأى الثغرة المحدقة في ترتيب الجيش الإسلامي عندما ترك الرماة موقعهم – كما أنه استغل الإرباك وتابع الضغط وقام وبشجاعة ومهارة بقتل ثلاثة من المسلمين.

2-**غزوة مؤتة**[2]، السنة الثامنة للهجرة: وهي أول مشاركة لخالد بعد إسلامه كان جندياً عادياً في معركة غير متكافئة مع الروم وأحلافهم من العرب، جعله المسلمون قائداً لهم بعد

---

*-باحث من سورية.

(1)-السيرة الحلبية: ج 2، ص 25-37.

(2)-ابن الأثير: ج 2، ص 236.

استشهاد القادة الثلاثة الذين عينهم النبي"ص" بالتتابع – وكان أمام خيارات ثلاثة: الأول أن ينسحب وينقذ المسلمين من الدمار. والثاني: أن يتحول إلى الدفاع ويستمر في القتال، وفي هـذه الحالة، فإن التفوق في قوة العدد سيؤدي إلى إنهاء المعركة لصالح العدو. أما الثالث: فهـو أن يهاجم ويقلب توازن العدو ثم يقطع التماس به ويتملص من المعركة بعد أن يضع حراسـة فعالة قوية في المؤخرة. وهذا ما فعله فسحب قواته بعيداً، وفي المساء كان قد بدأ مرحلة العودة إلى المدينة، فاقتصرت خسائر المسلمين على اثني عشر شهيداً فقط. نستطيع أن نسـمي ذلـك مأثرة وقد قدر النبي "ص" ذلك بدعوته خالداً سيف من سيوف الله، وبأن الجـيش لم يكن جيش الفرّار بل الكرّار بإذن الله، ولعله من منطلق الاستراتيجية التي من أجلهـا كان تحرك النبي باتجاه القبائل العربية المنتصرة بالشام والتي خلفت إرباكاً تكتيكياً بـأن أدت إلى مقتل القائد الغساني مالك بن رافلة – وكانت المعركة فرصة لمعرفة أساليب الروم في القتال.

3-**فـتح مكة**[1]، في السنة الثامنة للهجرة: شارك خالد فيها بقيادته الميمنة التي دخلت مكة من الجـنوب، وقاوم بعض فرسان قريش –من المخزوميين – هذه الميمنة. وتمكن خالد منهم وقتل ثلاثة عشر من فرسانهم.

4-**تحطـيم العُزّى**[2] في العام نفسه كلّف النبي "ص" خالداً بتحطيم صنم العزى فقام بذلك، على الـرغم مـن محاولة الترهيب التي قام بها سدنة الصنم محطماً بذلك الخرافة والشعوذة، إذ أقـدم علـى قتل الكاهنة التي مثلت دور الإلهة مدللاً على عمق تفكيره العقلاني والإيمان القوي بالله الواحد.

5-**الحملـة على بني جذيمة**[3]، التي أُثير جدل حول تصرف خالد هناك، وانتهى الأمر بتسوية على دفع ديات القتلى وبراءة النبي "ص" من فعل خالد.

6-**غـزوة حنيـن**[4]، العـام الثامن للهجرة، ضد هوازن وثقيف، حيث كان خالد قائداً لحرس المقدمـة التـي دفعها النبي "ص" للهجوم فجر يوم المعركة مع رجال من بني سليم، لكنه جرح فخرج من المعركة – إلا أنه بعد انتهاء الهجوم المعاكس الذي قام به النبي "ص" كان في مقدمة المقاتلين من بني سليم مرة أخرى– وكانت هي المرة الأولى التي يؤخذ بها خالد على حين غرة وهو المعروف باجتراح المفاجأة.

---

(1)–ابن هشام: ج2، ص 398.
(2)–ابن سعد، ص 657.
(3)–ابن هشام، مرجع سابق، ص 429.
(4)–الطبري، ج 2، ص 72.

7-غـزوة تـبوك السـنة التاسعة للهجرة 630م[1]: كلّف النبي "ص" خالداً بالمسير إلى دومة الجـندل لأسر حاكمها الأكيدر بن عبد الملك قائلاً: [ستجده يصطاد البقر] وقد داهمه خالد ليلاً خارج حصنه وأسره وأتى به إلى النبي "ص".

8-كان آخر ما قام به خالد في حياة النبي هي غزوته إلى بني الحارث بن كعب في نجران – بأربعمائـة فارس فاستجاب هؤلاء لدعوة الإسلام؛ وبقي بينهم إلى أن جاءه كتاب النبي"ﷺ" بالعودة إلى المدينة مع وفد منهم – وكان ذلك في شوال من العام العاشر للهجرة.

ب-عهد الخليفتين، أبي بكر وعمر:

1-حـروب الـردة: شغلت حروب الردة السنة الأولى من حكم أبي بكر، وكان لخالد بن الوليد الـدور المركـزي في هذه الحروب، وقد عقد له أبو بكر قيادة أحد الألوية العشرة التي جهزها لقتال المرتديـن، جـاعلاً من هذا اللواء القوة الضاربة الرئيسية بينما كلّف الألوية محاربة المرتدين الأقل شـأناً، كمـا أبقى لديه لوائين كاحتياط لتعزيز خالد بحسب وقائع الحرب –على أن يبدأ خالد الحرب ويُخرج باقي الألوية على ضوء نتائج عمليات خالد. وتركزت خطة أبي بكر بتطهير أواسط الجزيرة العربـية –ثم إخضاع مالك بن نويرة، وأخيراً التركيز على أخطر الأعداء مسيلمة الكذاب – أي أنه كـان يهـدف إلـى حشد قواته ضد الجيوش المعادية الرئيسية والقضاء على كلّ جيش على انفراد وبالتتالي.. ثم تطهير المناطق البعيدة.

أ- القضـاء علـى طلـيحة بن خويلد الأسدي[2]: جمع طليحة قواته من غطفان وبني أسد في بـزاخة ودعا طيئاً لمساندته – لكن أبا بكر أرسل من ذي القصة عدي بن حاتم زعيم طيِّئ الـذي حافظ على إيمانه مع خالد لإقناع طيِّئ بالامتناع عن المساندة ونجح عدي في مسعاه وتمكن من إبعاد طيء عن مساندة طليحة بل بالانضمام إلى المسلمين وخالد وانتهى الأمر إلـى اللقـاء فـي سهل بزاخة جنوب شرقي جبل أجأ، حيث كان النصر للمسلمين وهرب طلـيحة لاجـئاً إلـى قبيلة كلب في الشام، ما لبث أن دخل في الإسلام، وبعدها ساهم في الفتوح في العراق. ونتج عن الانتصار في بزاخة مسارعة قبائل بني عامر وبعض بطون هـوازن وبنـي سـليم إلى تقديم الولاء لخالد لكنه لم يقبل إلا قتل من قام بقتل المسلمين. وتوجـه بعد ذلك إلى "ظفر" لمواجهة سلمى[3] بنة مالك بن حذيفة من غطفان التي جمعت بعضاً من هوازن وسليم ونجح خالد في قتل سلمى وإنهاء تمرد جماعتها.

---

(1)-ابن هشام، مرجع سابق، ص 526.
(2)-الطبري، مرجع سابق، ص 487.
(3)- المرجع نفسه، ص 492.

ب- **نهاية مالك بن نويرة**[1]: وهو زعيم بني يربوع الذين يسكنون الشمال الشرقي من الجزيرة العربية، وكان "البطاح" مركز القبيلة وقدم مالك على النبي"ص" وقدّم الولاء للإسلام فعينه النبي "ص" لجمع الزكاة وإرسالها إلى المدينة لكن بعد وفاة النبي "ص" نكث العهد وأعاد الأموال لأصحابها.

تحرك خالد إلى البطاح بعد معركته مع سلمى وبعد محاولة مع زعماء جيشه الذين كانوا ينتظرون أوامر الخليفة بالتحرك، لكن خالداً لم يأبه لتلك المعارضة وأقدم على متابعة عمله مستفيداً من الخوف الذي أصاب مالكاً بعد انتصار المسلمين على طليحة وسلمى – ومغادرة سجاح إلى العراق والتي كان مالك قد تحالف معها ونصح مالك رجاله بالاستسلام وبدأ يعد العدة لذلك إلى أن ألقي القبض عليه مع زوجته وبعد نقاش مع خالد قتله خالد.

ج- **موقعة اليمامة**[2]: كان أبو بكر قد أمّر عكرمة على أحد الألوية الموجهة لقتال المرتدّين وكلفه مشاغلة مسيلمة في اليمامة، وهدفه من ذلك تثبيت مسيلمة في اليمامة ما دام عكرمة باقياً في الميدان، بحيث يظل يتوقع هجوم المسلمين دون أن يتمكن من ترك قواعده، وهو يتيح لخالد قتال القبائل المرتدة دون تدخل مسيلمة. وقد حقق خالد ما أراده أبو بكر وقضى على تمرد أسد بن يربوع من تميم وبني غطفان وأعاد هذه القبائل إلى الإسلام مع بني سليم وطيّئ ومن أتاه من المدينة من الأنصار والمهاجرين، واتجه إلى حيث يعسكر مسيلمة في سهل "عقرباء" عند الضفة الشمالية من وادي حنيفة وبلغ جيشه 13 ألف مقابل 40ألفاً جمعهم مسيلمة.

خلال الإعداد للاشتباك أسر أحد أكفأ قواد مسيلمة وهو مجّاعة بن مرارة وقد خطط خالد للقيام بالهجوم منذ البداية، وأن يجبر قومه على وضعية الدفاع وعدم السماح له بالانتقال إلى الهجوم المعاكس، وشكل جيشه بحيث قاد هو القلب، وكان زيد بن الخطاب على الميمنة وأبو حذيفة على الميسرة، وبدأت المعركة الأولى من شوال 11 هـ/ك1 632م بشكل تصادمي وهَدَفَ خالد فيها إلى خرق دعامات مسيلمة والوصول إليه. لكن الأخير قام بالهجوم المعاكس، وتراجع المسلمون عن سهل عقرباء ووصل المرتدون إلى معسكر المسلمين لكن حركة المسلمين من جهة الجنوب أوقفت هجوم المرتدين. وأعاد خالد ترتيب قواته وتقدم بها مرة أخرى إلى سهل عقرباء في هجوم ثان وصمد المرتدون.. هنا تبرز عبقرية خالد حينما دعا وسط الصدام إلى المبارزة وأسقط كل من تقدم إليه، مقترباً من مسيلمة، داعياً إيّاه للمحاولة ومنتظراً أن يأخذه على حين غرة. لكن مسيلمة انتبه في اللحظة الأخيرة وهرب، وكان هَربهُ بداية الشك والهزيمة. وبدأت صفوف المرتدين تتهاوى، بحيث نادى قائد ميسرة مسيلمة رجاله أن يلتجئوا إلى حديقة الحصن التي عرفت بحديقة الموت، ونجح أحد المسلمين بالقفز فوق سور الحديقة وفتح الباب فاندفع المسلمون إلى داخلها حيث نشب قتال شرس

---

[1]- المرجع نفسه، ص 501-502.
[2]- المرجع نفسه، ص 504-509.

شارك فيه مسيلمة وتمكن "وحشي" قاتل حمزة بن عبد المطلب من تسديد حربته إلى مسيلمة في وقت تقدم فيه أبو دجانة أحد الأنصار وأكمل بالسيف ما بدأه وحشي وانتهى مسيلمة. وشاع الخبر وهدأت المعركة ليخلد الناس إلى الراحة.

في اليوم التالي وقع خالد ضحية خداع أسيره مجّاعة بن مرارة الذي أوهمه أن بقية المقاتلين متحصنون بالحصن. فوافق خالد على الصلح، على أن يأخذ المسلمون الذهب والسيوف والدروع والخيل ونصف السبي. ثم ترك السبي، بعد مراوغة من مجّاعة. وعندما تم الصلح اكتشف خالد أن لا رجال في الحصن وإنما هناك شيوخ ونساء وأطفال أمرهم مجّاعة عند دخوله عليهم أثناء المفاوضات أن يلبسوا الدروع ويلوحوا بالسلاح.. ومع ذلك نفذت المعاهدة وخسر المسلمون ألفاً ومئتي شهيد، منهم خمسمئة من القرّاء وحفظة القرآن.

الفتوح:

أ-التوجه نحو العراق:

وجه أبو بكر خالداً إلى العراق بقوله[1]: "سر إلى العراق حتى تدخلها، وابدأ بمنطقة الأبله وقاتل أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم، وليكن هدفك الحيرة" وكان خالد قد توصل إلى فكرة عملياته عامة لمواجهة الفرس، فهو يعرف أن الجيش الفارسي جيد التدريب والتنظيم والتسليح ولا تنقصه الشجاعة لكنه بطيء الحركة، والحركة البطيئة والطويلة تجعله منهكاً.. وقد استغل خالد ذلك في مواجهته الأولى مع هرمز في الأُبلّة.. فقد تحرك من "النباح" باتجاه العراق لكن ليس على الطريق الذي توقعه طريق "كاظمة"، حيث انتظره هرمز، بل إلى "الحضير" فسارع الفرس إليها عندما كان خالد قد عجل بالإمدادات إلى كاظمة، حيث وصل الفرس عائدين إليها في حالة يرثى لها من الإعياء. وهكذا تحقق النصر للمسلمين في هذه المعركة التي عرفت بذات السلاسل، حيث قتل هرمز قائد الفرس. واستثمر خالد نصره في كاظمة فاتجه إلى نهر ميكيل حيث ظهر حشد فارسي جديد بقيادة "قارن" مستغلاً الحالة النفسية الناتجة عن المعركة السابقة وسقط قارن بعد مبارزة مع مقصل بن الأعشى وبعدها بدأ الفرس بالتراجع نحو النهر تاركين للمسلمين نصراً كبيراً ثانياً[2].

وبعد الهزيمة الثانية حشد الإمبراطور الفارسي جيشين الأول في "الولجة" بقيادة "الأندرزرغر والثاني يلحق به بقيادة "بهمن بن جاذويه".

كان أمام خالد أن يواجه جيشين على وشك الاندماج، ثم من جهة ثانية عليه أن يمنع جنود العدو الهاربين من المعارك من العودة إلى معارك أخرى فبالنسبة للمشكلة الأولى بادر خالد إلى الهجوم على جيش "الأندرزرغر" قبل وصول جيش "بهمن" كما أوكل بإيكال أمر بمنع الجنود من

---

(1)-المرجع نفسه، ص 553-558.
(2)-المرجع نفسه، ص 561.

الالـتحاق بمعارك أخرى إلى سويد بن مقرن، حيث أوجد مفارز لحراسة نهر دجلة من أسفل ومنع كل محاولة اجتياز يقوم بها العدو من الشمال والشرق وإنذار خالد بما تدعون. حشد خالد قلب جيشه أمـام جيش الأندروزغر واستدرجه للقتال، في حين حرك الجناحين من الخيالة يميناً ويساراً دون أن يلحـظ الفرس ذلك. وبعد أن أنهكهم أعطى إشارته فبرز الجناحان وتم تطويق الجيش الفارسي الذي وقع في الفخ وهرب قائد الأندروزغر إلى الصحراء. كان ذلك في أوائل أيار عام 633م.

توقف بهمن قائد الجيش الثاني عندما سمع بالهزيمة، لتأتيه الأوامر من الإمبراطور بدفع جيشه إلى أُلَّيْس فتركه ليقاتل الإمبراطور وتقدم "جابان" بالجيش إلى نهر عرف نهر الدم فدفع خالد بالمثنى للاستطلاع ثم هاجمهم خالد عند تناولهم الطعام ودامت المعركة ساعتين تراجع الفرس بعدها هاربين فلاحقهم العرب وأعملوا السيف حتى تلون النهر بالدم[1] وكان ذلك في منتصف أيام 633م.

تـرك خـالد أُلَّـيْس إلى أمغشيا[2] التي كانت خالية من أهلها فكانت غنيمة باردة ثم توجه إلى الحـيرة التـي كـان يحكمها ملك عربي هو إياس بن قبيصة، والحُكم الفعلي للقائد الفارسي أزاذبه- وقرر خالد استخدام الفرات لنقل أثقال قواته، ليكن النهر انخفض مستوى ماؤه نتيجة قطع المياه عند قناطر الفرات، فترك خالد النهر وسار بخيالته إلى باودقلى، حيث قضى على مخفر أمامي يقوده ابن أزاذبـه فأجهـز عليه. وعندما وصل الخبر إلى الوالد مع وصول خبر وفاة الإمبراطور ترك أزاذبه الحـيرة مع الجيش الفارسي إلى المدائن مبقياً مهمة الدفاع عن الحيرة لسكانها العرب الذين تحصنوا فـي قلاعها الأربع، فحاصرهم وفرض عليهم الصلح أخيراً وفاوض عنهم عمرو بن عبد المسيح[3]. وسقطت الحيرة وهكذا أنجز خالد ما كلف به في نهاية أيار سنة 633م.

نجـح خـالد بعـد ذلك في السيطرة على الأنبار بعد حصار أسبوعين وذلك في منتصف تموز 633م[4].

وتوجه بعدها إلى عين التمر[5] حين كان العرب والفرس يدافعون عنها، لكن العرب طلبوا من الفـرس تـركهم لمواجهـة خالد وجيشه حيث نجح خالد في أسر القائد العربي "عقة" وعندما وصل المسلمون إلى عين التمر وجدوا الفرس قد غادروها.

واستعدت المدينة للحصار بإغلاق أبوابها، لكنها ما لبثت أن استسلمت في نهاية تموز 633م.

طلب عياض بن غَنْم[6] المحاصر لدومة الجندل، التي ارتدت مع المرتدين، النجدة بعد حصار طويـل من خالد بن الوليد الذي أسرع إليها على رأس ستة آلاف مقاتل، وشدد الحصار على المدينة

---

(1)-المرجع نفسه، 562.
(2)-المرجع نفسه، 563.
(3)-أبو يوسف يعقوب بن آدم، الخراج ص 143.
(4)-الطبري، مرجع سابق، 575.
(5)-المرجع نفسه، 576-577.
(6)-المرجع نفسه، 578.

التي استسلمت في نهاية آب 633م ثم عاد خالد إلى العراق أثناء غياب خالد في دومة الجندل وحاول الفرس استعادة المبادرة فحشدوا جيشين الأول بقيادة روزبة وأرسل إلى الحصيد والثاني بقيادة زرمهر في الخنافس. كما تم حشد جيشين آخرين من العرب، الأول بقيادة هذيل بن عمران في المصيخ، والثاني بقيادة ربيعة بن بجير في الثني والرميل[1].

وفي المقابل حرك القعقاع بن عَمرو قواته لمشاغلة الفرس أثناء غياب خالد وعندما وصل خالد في أيلول 633م كان عليه أن يمنع تجميع الفرس في جيش واحد مع حماية الحيرة بينما يتحرك المسلمون في قطاع آخر. لذلك قام خالد بترك عياض بن غنم في حامية الحيرة وتوجه مع القعقاع وأبي ليلى إلى عين التمر، وتوجّه القعقاع إلى الحصيد وجيّش جيش روزبة وأبي ليلى إلى الخنافس، حيث زرمهر على أن يبدأا المعركة معاً ونجح القعقاع في قتل روزبه وتشتيت جيشه بينما تأخر أبو ليلى في الوصول –لكن الفرس انسحبوا من الخنافس باتجاه العاصمة "المدائن" الأمر الذي جعل خالداً أمام خيار من ثلاثة: إما المتابعة إلى المدائن، أو مواجهة الجيش الفارسي المستجمع في المصيخ، أو مقاتلة العرب في الثني والرميل. وقد اختار المصيخ. وقد تعامل مع هدفه بعد تحديد موقع الفرس بدقة بمناورة نادرة الحدوث في التاريخ، حيث قرر الهجوم وفي وقت واحد من ثلاثة اتجاهات من الحصين والخنافس وعين التمر ليلاً لتصبح القوات العربية على مسافة قريبة من المعسكر الفارسي، ومن ثم انقضت على هدفها بضربة واحدة كانت كافية لإحراز النصر.

وكان ذلك في تشرين الثاني 633م. لحق خالد بعد ذلك بالعرب النصارى في الثني والرميل، حيث كرر الهجوم الليلي بالألوية الثلاثة وفي وقت واحد شتت شمل أعدائه وكان آخر ما قام به بالإغارة على العراق القريبة من البوكمال، والتي بها حاميتان الأولى للفرس، والثاني للروم قضي عليهما.. ثم غادر خالد سراً ليؤدي فريضة الحج بينما كان جيشه يعاد تجميعه في الحيرة مع نهاية كانون الثاني 634م[2].

ب-على الجبهة الشامية:

أمر أبو بكر خالداً بترك نصف جيشه والإسراع إلى الشام[3] وكان على خالد اختيار أحد طريقين أولهما الاتجاه جنوباً حتى دومة الجندل ومن ثم الاتجاه غرباً إلى الشام، والثاني مسايرة الفرات باتجاه الشمال الشرقي من بلاد الشام.. والاثنان طويلان ويحرسهما قوات بيزنطية بمخافر نظامية.. مما يعرقل السير –فكان لا بد من إيجاد الطريق الثالث الذي يسلك الوسط ويكون الأقصر ويتجنب فيه الصراع مع البيزنطيين.. ويكون هذا الطريق من الحيرة إلى قراقر ثم منها إلى "سوى" ومن ثم إلى الأرك فتدمر والقريتين لكن الخطورة تكمن في المسير من قراقر حتى "سوى" حيث

---

(1)-المرجع نفسه، 580.
(2)-المرجع نفسه، 583.
(3)-المرجع نفسه، 605-609.

المسير لخمسة أيام دون وجود أثر للحياة – ونجحت المغادرة ووصل خالد إلى سوى ثم آرك[1] التي وافقت على الصلح.. ثم تابع إلى تدمر التي صالحته أيضاً.. وجرت معركة في القريتين تابع بعدها المسير إلى حوارين التي هزمت أيضاً، ومن بعدها إلى ممر بين عدرا والقطيفة، عند ثنية العقاب ثم إلى مرج راهط.. ثم إلى بصرى التي وصلها زمن اشتباكها مع قوة كان يقودها شرحبيل بن حسنة وجرى تماس مع البيزنطيين لكن هؤلاء انسحبوا متحصنين بالمدينة حيث بدأ حصارها، إلى أن استسلمت[2] في تموز 633م.

ج-معركة أجنادين: 634م -13هـ:

وصلت الأخبار إلى بصرى بأن الروم حشدوا جيوشهم في أجنادين فأمر خالد الجيوش الإسلامية -بعد أن أصبح قائدها- بالتحرك إلى فلسطين والالتقاء في أجنادين[3] وكان قرار خالد بالاشتباك هو لإنهاء حالة الاقتصار على السيطرة في المناطق الشرقية شبه الصحراوية والابتعاد عن المناطق المأهولة في الغرب، وهذا الاشتباك هنا هو للخروج من هذه الحالة التي أرادها الروم. لكن المسلمين انتصروا في هذه المعركة التي استمرت لأيام عديدة لتأتي أوامر الخليفة بالاتجاه إلى دمشق، ثم إلى حمص فإنطاكية.

د-فتح دمشق:

بعد معركة أجنادين بأسبوع سار خالد إلى دمشق سالكاً طريق جنوبي القدس حتى وصل إلى ضفة اليرموك عند الياقوصة حيث الروم على الضفة الشمالية للنهر، وتمت هزيمة الروم في آب 634م[4] وتابع خالد بن الوليد المشي إلى دمشق بلوائه الذي كان في العراق ثم تبعته الألوية الأخرى، والنساء والأطفال وأسر محاربي العراق حتى وصلت مرج الصُّفر (الكسوة) فواجه جيشاً للروم هناك بقيادة كولوس وأدارير. لكن جيش المسلمين بألويته تمكن من دحر الروم الذين تراجعوا إلى دمشق وتحصنوا بها في العشرين من آب 634م وكان خالد قد ترك سرية في "فحل" لمنع تحرك جنودها لمساعدة دمشق، كما أرسل سرية إلى طريق حمص في بيت لهية لمراقبة الطريق ومنع وصول الإمدادات أيضاً فعزل بذلك دمشق من غيرها وأحكم حصارها[5].

أرسل هرقل جيشاً لتعزيز دفاع دمشق وعلم المسلمون المقيمون في المركز على طريق حمص بذلك وأخبروا خالداً الذي أرسل قوة من خمسة آلاف للاشتباك بالجيش في بيت لهية -لكنها لم تكن

---

(1)-الواقدي، ص 15.
(2)-الواقدي، ص 17.
(3)-الطبري: ج3، ص 8- الواقدي، ص 35.
(4)-الواقدي، ص 43.
(5)-المرجع نفسه، 1921.

كافية فعززها خالد بقوة قادها ليلاً كيلا يسترعي انتباه حاميه دمشق وتمكن من إلحاق الهزيمة بالجيش القادم من طريق حمص[1]. دعا خالد إلى حصار دمشق الذي استمر حتى أيلول *634*، حيث تمكن خالد مع مجموعة من قواده من تسلق أسوار المدينة، بينما وافق أبو عبيدة على الصلح والتقى خالد وأبو عبيدة عند كنيسة مريم في وسط المدينة فكان فتح دمشق صلحاً وعنوة[2] –وغادر الروم دمشق– بعد أن حصلوا على هدنة ثلاثة أيام لكن خالداً قاد قوة تمكنت من اللحاق بالقافلة الرومية المحملة بكل شيء غلا ثمنه من دمشق قبل أن تصل إنطاكية. وبعد انقضاء مهلة الهدنة فهاجمها بمجموعاته الأربع من الاتجاهات الأربعة عند سهل يقال له سهل الديباج. وحقق النصر وعاد بغنائم كبيرة بعدة غياب عشرة أيام عن دمشق[3]، ليعلم من أبي عبيدة أن أبا بكر قد توفي وأن عمر قد عزله من قيادة الجيش وأوكل الأمر إلى أبي عبيدة.

هـ–معركة فحل:

حشد هرقل جيشاً جديداً في بيسان غربي الأردن، وهدفه قطع مواصلات المسلمين بالجزيرة العربية، وبدأ العمل بالخطة باحتلال فحل فتحرك لواء شرحبيل من دمشق يتقدمه لواء العراق بقيادة خالد، وسرعان ما انسحب الروم من فحل والتحقوا بالقوة الأساسية في بيسان، ولاحقهم المسلمون حتى النهر، حيث جرت المعركة بعد عدة أيام في مستنقع أسفل فحل وانتهت بهزيمة الروم، وتقدم المسلمون لحصار بيسان التي استسلمت[4] في أواخر شباط *635*م وكان ذلك لإكمال فتح فلسطين من قبل عمرو بن العاص وشرحبيل – الذين هزما الروم في أجنادين الثانية، وبعدها سقطت مدن فلسطين والساحل حتى بيروت وهكذا أصبحت فلسطين بيد المسلمين ما عدا القدس وقيسارية.

و–فتح حمص:

وصلت أخبار فحل وبيسان إلى هرقل وظن أن المسلمين باتجاههم إلى فلسطين غير مهتمين بالشمال، لذلك قرر استعادة دمشق فأرسل قوة بقيادة تودز من إنطاكية عبر بيروت وسهل البقاع (مرج الروم) واقتربت من دمشق في وقت تقدمت فيه قوة أخرى بقيادة شنس من حمص عبر البقاع – فواجه المسلمون الجيشين بقيادة أبي عبيدة وخالد، لكن تودز سحب قوة منهما ليلاً لتهديد دمشق فسارع خالد إلى دمشق ليضرب فيلق تودز، وانطلق أبو عبيدة للقضاء على من تبقى في وجه الروم، وقتل شنس.

---

(1)–*المرجع نفسه، ص 28.*
(2)–*البلاذري، ص 128.*
(3)–*الواقدي، ص50.*
(4)–*الطبري: ج 3، ص 90.*

أرسل أبو عبيدة خالداً إلى حمص فألقى الحصار عليها بينما توجه هو إلى بعلبك التي استسلمت حاميتها بلا قتال. ولم يطل حصار حمص إذ تم الاتفاق على وقف القتال لمدة عام مقابل عشرة آلاف دينار ومائة ثوب من البروكار. وفعلت قنسرين الشيء ذاته. لكن الروم خرقوا الهدنة مع حمص وقنسرين ودفعوا بتعزيزات إليهما. ومرة أخرى حُوصرت حمص لعدة أشهر إلى أن اقترح خالد مبادرة تقضي بترك حصار المدينة والتظاهر بالانسحاب، مما جعل الروم بقيادة هربيس يخرجون لملاحقة المسلمين وعندها توقف هؤلاء والتف المسلمون من على الجانبين بقوتين من الخيالة، وأحكم الطوق حول هربيس ورجاله وألحقت الهزيمة بالروم، وعرض أهل حمص التسليم[1].

ح-معركة اليرموك[2]:

في آذار عام 635م وعندما كانت حمص محاصرة بدأ هرقل الإعداد لعمله الأخير في سورية باستنفار القوات الرومية من خارج الشام. وفي أيام 636م كان قد شكّل جيشاً من 150 ألف جندي تم حشده في إنطاكية وشمال سورية، يضم السلاف والأرمن والبلغار واليونان والجورجيين. وكانت خطته تقضي بمهاجمة المسلمين في دمشق وعزلهم وبجيش آخر يتم تثبيت المسلمين في حمص وتدميرهم ويتقدم الروم بعدها لتدمير جيوش المسلمين الواحد تلو الآخر. وصلت أخبار التحشدات والخطط إلى المسلمين وقد أدرك خالد استراتيجية الحشد وغرضه -فنصح قائده أبا عبيدة بالانسحاب من شمال سورية ووسطها وحشد جميع القوات على صعيد واحد وعلى حافة الصحراء لتكون على اتصال بعمقها في الجزيرة، وبالفعل تم الانسحاب إلى الجانبين. وقد تم ذلك قبل وصول الروم إلى دمشق، بعد أن تحرك حشد المسلمين جنوباً ليجعلوا ظهورهم لجبل العرب، ومجنبتهم لليرموك، وجبهتهم تواجه جبهة الروم الذين جعلوا ظهورهم لوادي الرقاد – وقد تسلّم خالد القيادة وحدثت فترة سكون لمدة شهر وبعدها بدأت المعركة التي دامت ستة أيام، وفي الخمس الأولى منها أنهك الروم بأن تلقى ضرباتهم، وفي السادس هاجمهم ودافعهم باتجاه الرقاد- حيث كانت نهاية هذا الجيش. ولم يترك خالد لما هان قائد الروم فرصة النجاة بل لحقه حتى أدركه على أبواب دمشق مع من تبقى من جنده فقتله، وخرج أهالي دمشق لكمين خالد وذكروه بالمعاهدة السابقة فأكدّ لهم أنهم ما زالوا في حمايتها.

كانت موقعة اليرموك من حيث هي عملية عسكرية تضم أشكالاً تكتيكية كثيرة مثل الهجوم الجبهي والاختراق الجبهي، والهجوم المعاكس وصدّه، والهجوم من الجنب، والهجوم من المؤخرة، والمبادرة حول الأجنحة، وكانت خطة خالد -في البقاء في وضعية الدفاع حتى يتم إنهاك العدو- قد نجحت، ولم يشن خالد هجومه المعاكس إلا بعد أن تأكد من أن الروم غير قادرين على القتال

---

(1)-المرجع نفسه، ص 96-97.

(2)-الواقدي، ص 100، البلاذري، ص 143 وما بعدها.

الطبري: ج 3، ص 75 وما بعدها.

الهجومي، وذلك في آخر يوم من أيام المعركة، وقد تمكن من زعزعة موقع الروم من الجنب، وتمكن من فصل الخيّالة عن المشاة ثم طردهم إلي الزاوية بين الرقاد والروم – وقد هشمت مطرقة المسلمين جيش الروم على سندان وادي الرقاد تماماً.

بعد معركة اليرموك أمر عمر بن الخطاب أبا عبيدة بفتح القدس. وتم ذلك، وحضر عمر تسليم المدينة. وفي مؤتمر الجابية برئاسة الخليفة تقرر توجيه الاهتمام إلى شمال سورية فسار أبو عبيدة مع خالد إلى دمشق وحمص ثم قنسرين التي جرت عند أطرافها معركة الحضير[1]، حيث قتل "ينباس" قائد الروم وبعدها استسلمت "الحضير" ومن بعدها قنسرين على يد خالد في حزيران 637م ولحق أبو عبيدة به ليتجها إلى حلب التي استسلمت بعد حصار 4 أشهر في تشرين الأول 637م.

وتابع المسلمون تحركهم بعد ذلك وتوجهوا إلى إنطاكية[2] وهزموا جيشاً عند نهر العاصي. وحاصروا المدينة التي سقطت في تشرين الأول 637م ذهب خالد بعدها شرقاً حتى الفرات ليعينه أبو عبيدة قائداً على قنسرين[3].. ومهمته مراقبة تحركات الروم في الشمال.

❑

مصادر البحث:

1 ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1403/ 1983.

2 ـ البلاذري، فتوح البلدان، طبعة برايل، 1866.

3 ـ الحلبي، علي برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، المكتبة الإسلامية، بيروت، د.ت.

4 ـ ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ت.

5 ـ الطبري، ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969.

6 ـ ابن هشام، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا؛ إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، المركز العربي لخدمة الكتاب، مصر، د.ت.

7 ـ الواقدي، محمد بن محمد، كتاب فتوح الشام، القاهرة، 1954.

8 ـ أبو يوسف، كتاب الخراج، ط1، المطبعة الأميرية ببولاق، 1302هـ.

❑❑❑

(1)-الطبري: ج3، ص98.
(2)-المرجع نفسه، ص99.
(3)-المرجع نفسه، ص101.